القلب، أما الصالح منهم فلشدة ما يرى ولا يستطيع تغيير المنكر، وأما الفاسق منهم فذلك عقوبة من الله تعالى)، أذكر هذا مع إيراد ما ذكره الإمام الطرسوسي في فتاواه حيث يقول: (اعلم وفقك الله وإياي أن هذه المسألة تعزى إلى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وعمل به بعض القضاة بالديار المصرية، ولكن منهم من عمل به على الوجه المرضي، ومنهم من عمل به ليحصل الدنيا الدنية والتقرب إلى والي الدولة لينال بها سحتا مما في أيديهم، أو يستتر بما يفعله معهم لما يقصدون من أخذ أوقاف المسلمين بأبخس الأثمان مما يكون ريعه أكثر مما استبدل به، وقراره أجود وأغلى مما في عوض عنه، فلا جرم أن الله تعالى رد قصدهم وكيدهم في نحرهم، وشمت بهم الأعداء، هذا ما حصل لهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فالله المسئول أن يعصمنا من الأهواء والطمع، ويجعلنا ممن أطاع الأمر واستمع، ويسلمنا فيما يقي ويوفقنا لطاعته.[1]

المبحث الثالث: انقطاع الناس عن الوقف للجهات الخيرية المتعددة

إن إعراض الناس عن الوقف وانحساره في الوقت الحاضر مقارنة عما كان عند سلفنا الصالح يعود إلى أسباب كثيرة منها ضعف الوعي عند المسلمين عن أهمية الوقف وفائدته، ومنها طغيان النزعة المادية في المجتمع المعاصر، فصار جل اهتمامه بنفسه وأهله وأولاده ورفاهيتهم وإكمال دراستهم، وفينا تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور (ستتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قيل أومن قلة نحن يا رسول الله؟، قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟، قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

ولقد لخص بعض الباحثين أسباب انقطاع الوقف فقال: (لقد فتن الناس ببعض المنظمات والمؤسسات المعاصرة، كجائزة نوبل وفورد فاوندشن، وهي في حقيقتها عبارة عن أوقاف لأغراض محددة، وفي تاريخ المسلمين كما سنوضح لاحقا أوقاف عدة خصصت للبحث العلمي والمخترعات الجديدة، وللمحافظة على صحة البيئة ولحماية بعض أنواع الحيوانات من الانقراض ولرعاية المكتبات والمخطوطات والكتب النادرة، ولقد انتشرت تلك الأوقاف على حدود أوروبا في بلاد الأندلس وفي

---

(١) الفتاوى الطرسوسية، ص٢٠٨. المصدر السابق، ص١٤-١٥.

الدولة العثمانية مما سهل اقتباسها بواسطة الغرب، كما أثبت ذلك كثير من المصادر الغربية نفسها، إلا أنه وفي العصر الراهن بدأ الاهتمام بالوقف ينحسر كما أن الكثيرين أمسكوا عن وقف أموالهم كما كان يحصل سابقا، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك ما يلي:

١- سقوط الأندلس وانتهاء الخلافة العثمانية، حيث كان الوقف يلقى منهما التشجيع والرعاية، التزاما بأحكام الشريعة الإسلامية وبتحقيق المصالح الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين)، وهو أمر هام جدا، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

٢- تدخل بعض السلطات في شؤون الوقف مما أدى إلى العديد من الآثار السلبية، منها عدم احترام قصد الواقف من الوقف، وإدارتها من خلال أجهزة إدارية بيروقراطية.

٣- تأميم الوقف ومصادرته وإلغائه بنصوص تشريعية أحيانا، وتوصية الممتلكات الوقفية من غير مراعاة للأحكام الشرعية.

٤- انحسار المفهوم التنموي الشامل للوقف وحصره في مجرد دور ومتاجر متهالكة مستأجرة بأبخس الأثمان.

كل ذلك أدى إلى انصراف المحسنين عن الوقف وزهدهم فيه، والاتجاه إلى أنواع أخرى من البر لا تؤدي إلى نفس نتائج الوقف غالبا، وهذا يفسر لنا السبب في التوسع في الأوقاف وكثرتها وعظم دورها سابقا، ثم تناقص عددها وقلة شأنها في عالمنا الإسلامي حاضرا.[١]

المبحث الرابع: الإيجارات البخسة للأراضي والعقارات وعدم زيادة أجرها رغم تغير الأحوال والإيجارات للعقارات والأراضي الخاصة:

لقد عمد أصحاب السلطة وأصحاب الأموال إلى استئجار العقارات والأراضي بأجور بخسة، واستمرا على ذلك سنين طويلة رغم أن الفقهاء قد نصوا على تحديد مدة الإيجار (ومدة الإيجار على رأي المتأخرين وهو المفتى به- سنة في الدور والحوانيت، وثلاث سنوات في الأرض، فإذا اقتضت الضرورة أو المصلحة الإجارة لمدة أطول صح ذلك بإذن القاضي)[٢]، وكذلك نصوا على أنه (ولا

(١) أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف-وزارة الأوقاف-الكويت ١٩٩٣، الشيخ صالح كامل، ص٣٩-٤٠.

(٢) زهدي يكن، الوقف في الشريعة والقانون، ص٩٣-٩٧.